

# التحليل السياسي ومفهوم الاستراتيجية دراسة في تأصيل المفاهيم والمناهج

الدكتور / عبد العزيز صقر

رئيس جمعية العلم للجمعية العربية لنشر العلم ورعاية الموهبين - القاهرة

## ملخص البحث

دفع غياب تقاليد محلية لعلم السياسة الباحثين للجوء إلى النظرية الغربية للمعرفة السياسية؛ للتمكن من تأصيل المفاهيم السياسية .  
والسياسة هي تلك الظاهرة المرتبطة بظهور السلطة؛ والعلاقة السياسية والشرعية والاستقرار أو الاضطراب السياسي والحياة السياسية ، وتحول الجماعات البدائية إلى مجتمعات سياسية .  
وتعني السياسة انقسام الجماعات البشرية إلى حاكم يستأثر بالسلطة ومحكوم يخضع لها، وقبل ظهور السياسة كانت هناك مجرد جماعات تعيش في ظل سلطة جماعية مباشرة ولا تعرف معنى العلاقة السياسية.  
وبظهور السياسة تحولت الجماعات إلى مجتمعات عرفت صورة السلطة المشخصة، ثم بتطور التفكير حول السلطة تحولت المجتمعات إلى دول ترفض السلطة المشخصة، وتأبى إلا إسناد السلطة كلها إلى المجتمع، والربط بين ممارسة السلطة وقيم هذا المجتمع ورغباته .  
وفي مسلكه للكشف عن الظواهر السياسية يهتم التحليل السياسي بمناهج دراسة تلك الظواهر .  
وتختلف التصنيفات التي تعبر عن أنواع التحليل السياسي من حيث غاية التحليل السياسي وانقسامه إلى وصفي وحركي وكلي وجزئي فضلاً عن تصنيفه وفقاً لموضوعه وحسب المنهج المستخدم في عملية التحليل .  
وأما في مجال الاستراتيجية فقد اتسع مفهوم السياسة وتطور معناها في الإدراك الغربي حتى أصبحت تطلق على كل ما هو ضروري لحياة الشعوب وقوتها . ثم ازداد المفهوم اتساعاً وانتقل من النطاق العسكري إلى السياسي ثم الفكري والعلمي إلا أنه ظل مرتبطاً بقضية الأمن القومي؛ ثم أضحت الاستراتيجية في أوسع معانيها هي علم وفن التخطيط والتنظيم المسبق .



## أفكار ومقتطفات

\* في غياب تقاليد محلية لعلم السياسة أو محاولات لبناء علم سياسة يعبر عن القيم والخصائص الحضارية الإسلامية؛ تصبح عملية تأصيل هذه المفاهيم وتحليلها في إطار من منطلق النظرية الغربية للمعرفة السياسية ضرورة لا بد منها .

\* في المجتمعات التي لم ترتبط بهداية الله - تعالى - ظهرت صورة السلطة المشخصة؛ أي المرتبطة بشخص يمارسها كيف يشاء .

\* ولا شك أن المعرفة السياسية التي تستمد من منهجية تقوم على الجمع بين الملاحظة وإعمال الذهن؛ أو بين التجريب والتجريد، هي الأكثر قبولاً في التقاليد العلمية السياسية المعاصرة .

\* تأتي «مرحلة الدولة» لتعبر عن التطور في التفكير في تفسير ظاهرة السلطة، وطرح إجابات جديدة عن التساؤلات الثلاثة: من يملك السلطة؟ ولماذا؟ وكيف يمارسها؟ كما تقدم تعريفاً جديداً للشرعية السياسية يختلف عن التعريف الذي ساد في مرحلة السلطة المشخصة.

\* إن التفكير في الظواهر المختلفة والسعي إلى فهمها ومحاولة تفسيرها من خلال عملية التحليل؛ هو عملية عقلية فلسفية منطقية، تمثل أساس نشأة مختلف العلوم الإنسانية والطبيعية والرياضية وتطورها على السواء.

\* مثل غيره من العلوم؛ فإن علم السياسة يملك العديد من أنواع أو مسالك أو مناهج التحليل؛ ارتباطاً باستقلاله بدراسة ظاهرة السلطة وما يرتبط بها من علاقات من جانب، ثم بتعدد الظواهر السياسية التي تعبر عن هذه العلاقات حول السلطة من جانب آخر .

\* يجمع المنهج العلمي التجريبي بين أدوات الاستقراء وأدوات الاستنباط، كما يسمح باستخدام العديد من الأدوات الأخرى - كبناء النماذج، وتحليل المضمون، والتحليل الكمي للوقائع، والأساليب الرياضية والإحصائية، والعقول الإلكترونية، والتحليل المعملية أو التاريخي - كبديل لعملية التجريب وغيرها .

## النظرية والفكر

\* الفارق بين الاستراتيجية والتكتيك Tactics كالفارق بين المنهج والأداة، ورغم أن الاستراتيجية نفسها هي أداة من أدوات الحرب التي هي منهج أو وسيلة من وسائل التعامل مع العدو؛ فإن التكتيك بدوره هو أداة من أدوات الاستراتيجية حين تصبح هذه الأخيرة هي منهج أو أسلوب الاقتراب من الطرف الآخر والتعامل معه.

## التحليل السياسي ومفهوم الاستراتيجية دراسة في تأصيل المفاهيم والمناهج

### مقدمة:

وقد تنتهي «بعدم الاستقرار السياسي» في حال خروج المواطن عن فروض الخضوع والطاعة، سواء بسبب خروج الحاكم عن حدود سلطته، أو لمجرد الرغبة في الاستيلاء على السلطة برغم عدم خروج الحاكم عن الشرعية. ويطلق على عمليات الصراع أو الصدام بين المواطن والسلطة اسم «الحياة السياسية». وهكذا فإن «السياسة» هي تلك الظاهرة المرتبطة بظهور السلطة والعلاقة السياسية والشرعية السياسية والاستقرار أو الاضطراب السياسي ثم الحياة السياسية، ومن ثمَّ تحوُّل الجماعات البدائية إلى مجتمعات سياسية، يسعى كل منها لإقامة «نظامه السياسي» الذي يتولى إدارة شؤون المجتمع وحفظ الأمن والسلام الداخلي من خلال عملية احتكار الحاكم لأدوات العنف، ثم يضمن أمن حدوده ويصد عدوان الآخرين من خلال «علاقاته الخارجية»، والتي قد تأخذ طابع السلم عن طريق الجهود «الدبلوماسية»، أو الحرب من خلال «الاستراتيجية».

### مولد السياسة:

ظهرت السياسة في تلك اللحظة التي انقسمت فيها الجماعات البدائية إلى حاكم ومحكوم؛ فاستأثر الحاكم بالسلطة واحتكر وحده أدوات العنف مقابل قيامه على شؤون المجتمع، والتزم المحكوم بطاعة الحاكم والخضوع لسلطته إن هو فعل ذلك. أما قبل هذه اللحظة فلم تكن ثمة سياسة؛ لأنه لم تكن ثمة سلطة تحتكر أدوات العنف ولم تكن الجماعة منقسمة إلى حاكم ومحكوم، وإنما سادت في تلك

المفاهيم الأساسية التي يدور حولها هذا البحث أربعة؛ هي: السياسة Politics، والتحليل Analysis، والتحليل السياسي Political Analysis، ومفهوم الاستراتيجية Strategy .

وفي غياب تقاليد محلية لعلم السياسة أو محاولات لبناء علم سياسة يعبر عن القيم والخصائص الحضارية الإسلامية؛ تصبح عملية تأصيل هذه المفاهيم، وتحليلها في إطار من منطلق النظرية الغربية للمعرفة السياسية ضرورة لا بد منها؛ يفرضها هذا القصور في تقاليدنا العلمية المحلية. إن تلك المفاهيم السائدة في واقعنا الفكري، والتي تمثل أساس المعرفة السياسية، ليست في الحقيقة سوى ترديد للمعطيات الغربية المستمدة بدورها من التراث اليوناني الذي يمثل المصدر الحقيقي لأغلب المفاهيم والمدرجات التي نتداولها اليوم في عالم السياسة. هذه حقيقة يجب أن نعترف بها، وأن تمثل تحدياً أمام المشتغلين بالتحليل السياسي في عالمنا الإسلامي<sup>(١)</sup>.

### مفهوم السياسة:

«السياسة» ظاهرة اجتماعية تميز المجتمعات عن الجماعات السابقة عليها، وهي تدور حول العلاقة اليومية بين المواطن والسلطة، وهي ما نسميها بـ«العلاقة السياسية»، تلك العلاقة التي قد تقود إلى «الاستقرار السياسي» - إذا ما التزمت السلطة بحدودها وغاياتها، والتزم المواطن بالخضوع لها، وهو الالتزام الذي نُطلق عليه وصف «الشرعية» -،

## النظرية والفكر

وكيف يمارسها؟ وليس تعدُّد أو تطوُّر المجتمعات السياسية سوى تجسيد لهذا التعدد والتطور في صور الإجابة عن هذه التساؤلات الثلاثة.

### السلطة المشخّصة:

في المجتمعات التي لم ترتبط بهداية الله - تعالى - ظهرت صورة السلطة المشخّصة؛ أي المرتبطة بشخص يمارسها كيف شاء. وبغض النظر عن تفسير ظاهرة السلطة في هذه المرحلة؛ فإنها تُعدُّ نقطة البدء الحقيقية للحديث عن السياسة كظاهرة؛ بمعنى إدراك الجماعة لحقيقة انقسامها إلى حاكم ومحكوم، ولحقيقة تمييز الحاكم باستثنائه بالسلطة واحتكاره لأدوات العنف، والتزام المحكوم بالطاعة والخضوع لتلك السلطة، وتنازله لها عن استخدام أدوات العنف؛ فيما نطلق عليه وصف العلاقة السياسية؛ أي علاقة الحاكم والمحكوم، علاقة السلطة والخضوع، علاقة الأمر والطاعة.

وقد استغرقت مرحلة السلطة المشخّصة هذه مدة طويلة، اتفقت فيها المجتمعات على أن السلطة لشخص يمارسها كيف شاء، إلا أنهم اختلفوا في تفسير أساس أو سند السلطة بحسب طبيعة كل مجتمع وعامل التمييز أو الأفضلية فيه؛ فكان هذا السند هو الحق - أو التفويض الإلهي - عند بعض المجتمعات، وكانت العصبية هي سند السلطة عند مجتمعات أخرى، في حين عوّلت مجتمعات على الملكية العقارية كأساس للسلطة، وارتكزت غيرها على عوامل أخرى كسند لتفسير أساس عملية الاستئثار بالسلطة فيها، كالنبالة أو الأصل العسكري أو غيرها.

### الشرعية السياسية:

مع ظهور عملية التفكير في إسناد السلطة وتسويغها برز مفهوم الشرعية السياسية "Political legitimacy" بمعنى الالتزام السياسي بالتفسير المتفق عليه بين أفراد المجتمع لسند السلطة

الفترة صورة السلطة الجماعية المباشرة، حيث يملك الجميع وسائل العنف ويسعى كل فرد لإشباع رغباته كيف شاء .

الجماعات البدائية لم تعرف السياسة؛ لأنها لم تنظر إلى السلطة السياسية كظاهرة ولم تدرك طبيعة هذه السلطة ولم تفكر في إسنادها لشخص معين تعترف له بحق احتكار أدوات العنف، ولذلك فإن هذه المرحلة هي مرحلة ما قبل ظهور السلطة، أو مرحلة ما قبل السياسة.

إن الجماعات البدائية لم تعرف السياسة؛ لأنها لم تنظر إلى السلطة السياسية كظاهرة ولم تدرك طبيعة هذه السلطة ولم تفكر في إسنادها لشخص معين تعترف له بحق احتكار أدوات العنف، ولذلك فإن هذه المرحلة هي مرحلة ما قبل ظهور السلطة، أو مرحلة ما قبل السياسة.

أما مولد السياسة فيقترن بمولد السلطة وبداية انقسام هذه الجماعات البدائية إلى طبقتين: حاكم يمارس السلطة، ومحكوم يخضع لها. ففي هذه اللحظة بدأت الجماعات البدائية تدرك طبيعة ظاهرة السلطة وتحاول تفسيرها بمعنى أنها بدأت تتساءل: من يمارس السلطة؟ لماذا؟ وكيف يمارسها؟

### تطور المجتمعات السياسية:

تشترك جميع المجتمعات السياسية في صفة إدراك طبيعة ظاهرة السلطة وقيامها على ضرورة انقسام المجتمع إلى حاكم ومحكوم، ولكن الخلاف نشأ بينها في عملية تفسير ظاهرة السلطة، أي في الإجابة عن التساؤلات الثلاثة من يملك السلطة؟ ولماذا؟

مناقشة، وصار الخروج عليه عملاً غير شرعي من جانب المحكوم مهما كانت خصائص هذا الحاكم، ومهما كانت طريقة ممارسته للسلطة.

### الدولة:

تأتي «مرحلة الدولة» لتعبّر عن التطور في التفكير في تفسير ظاهرة السلطة، وطرح إجابات جديدة عن التساؤلات الثلاثة: من يملك السلطة؟ ولماذا؟ وكيف يمارسها؟ كما تقدم تعريفاً جديداً للشرعية السياسية يختلف عن التعريف الذي ساد في مرحلة السلطة المشخصة:

- فالسلطة السياسية ملك للمجتمع وليست ملكاً لشخص مهما كان انتماءه أو خصائصه الذاتية.
- والمجتمع هو السند الوحيد للسلطة.
- والسلطة تُمارَس لحساب المجتمع وعلى مقتضى مصلحته، كما تخضع في ممارستها للنظام الذي يقرره المجتمع ولا تُمارَس

على هوى الحاكم أو وفق مشيئته.

- وشرعية السلطة لا تقف عند حد استنادها إلى المجتمع، ولكنها رهينة أيضاً بشخص الحاكم، وكيفية ممارسته لها، ومدى التزامه بالنظام والقواعد التي يقررها المجتمع الذي اختاره، فالحاكم يفقد شرعيته إن لم يستند إلى إرادة المجتمع، أو إن استند إلى إرادة المجتمع، ولكنه في ممارسته للسلطة خرج على القواعد والشروط التي اختير على أساسها، والتي ترسّخت في الوعي الجماعي. فالحاكم في دولة علمانية يفقد شرعيته إن ارتكز في ممارسته للسلطة على القيم والتوجيهات الدينية؛ في حين لا يملك الحاكم لدولة دينية أو أيديولوجية إلا الالتزام بالتعاليم والمبادئ التي يقررها دين أو أيديولوجية

ومسوؤها، أي التزام المحكوم بطاعة الحاكم إن هو التزم بمسوؤها وسند اختياره، وهي العملية التي تقود إلى ظاهرة الاستقرار السياسي الناجم من التطابق بين ممارسة السلطة وتفسير المجتمع لها، أو ما نطلق عليه اسم «الوعي أو الإدراك الجماعي "Collective Consciousness" بمعنى ما استقر في وعي المجتمع ووجدانه حول عملية تفسير السلطة وسنداها. فالحاكم الشرعي في المجتمعات التي أخذت بفكرة الحق الإلهي هو الحاكم المنتسب إلى الآلهة، ولذلك فقط تصبح طاعته شرعية والخروج عليه غير شرعي. وفي

**شرعية السلطة لا تقف عند حد استنادها إلى المجتمع، ولكنها رهينة أيضاً بشخص الحاكم، وكيفية ممارسته لها، ومدى التزامه بالنظام والقواعد التي يقررها المجتمع الذي اختاره.**

المجتمعات التي ارتكزت على فكرة الملكية العقارية كان الحاكم يفقد شرعيته إن هو فقد ملكيته لمساحة الأرض التي أهّلتها لهذا المنصب، فحينئذ يصبح الخروج عليه شرعياً وطاعته غير شرعية. وكذا الحال بالنسبة إلى الحاكم الذي يفقد عصبيته أو أصله النبيل في المجتمعات التي تأخذ بهذه المسوغات كسند للحكم.

وهكذا ارتبط مفهوم الشرعية في هذه المرحلة بعنصر واحد من عناصر التفكير في تفسير ظاهرة السلطة، وهو ذلك العنصر المرتبط بسند السلطة، أما من يملك السلطة؟ وكيف يمارسها؟ فلم يمثل معياراً للشرعية في هذه المرحلة التاريخية، وحيث ساد الاعتقاد بأن السلطة هي ملك لفرد - أيّاً كان - يمارسها كيف شاء - أي على هواه - ما دام قد توفر فيه سند السلطة (التفويض الإلهي، النبالة، العصبية،...)؛ فالشرعية - في هذه المرحلة - لا تعني سوى توفر سند السلطة في الحاكم ولا علاقة لها بصفات الحاكم الشخصية ولا بطريقة ممارسته للسلطة، فإن توفر في الحاكم شرط سند السلطة صار شرعياً ووجبت طاعته والخضوع لأوامره دون

بالطاعة، وما ينشأ عن هذه «العلاقة السياسية» من علاقات وصراعات وصدامات (الحياة السياسية)، وما تتطلبه من تنظيمات وقواعد (النظام السياسي)، ومن تفكير دائم حول حدود الالتزام السياسي (الفكر السياسي)، وما يحكم حركة المجتمع في علاقته بغيره من المجتمعات (العلاقات الخارجية)، وهذه هي في النهاية فروع (علم السياسة) الذي استقل عن علم الاجتماع ليختص بدراسة الظواهر السياسية وصياغة القوانين العامة التي تفسرها وتحكم العلاقات بينها، وليودع كل ذلك في بناء (النظرية السياسية) الذي ينتظم كل هذه القوانين والنظريات التي تسمح بفهم الظواهر السياسية وتفسيرها في الفروع سالفه الذكر.

### مفهوم التحليل:

التحليل - عكس التركيب Synthesis يعني عملية فهم طبيعة الظاهرة أو تفسيرها من خلال الكشف عن أصلها، وذلك بتمييز مختلف أجزائها أو مكوناتها وفصلها وردها إلى عناصرها الأولية غير القابلة للتحليل، ثم إخضاع هذه المكونات الأصلية للاختبار بهدف اكتشاف طبيعتها والعلاقات بينها، والانتهاه بتقرير نتائج هذه العملية وصياغتها في شكل فرض أو قانون علمي (٢).

التحليل إذن هو عملية فهم وتفسير من خلال التجزئة، وفصل المكونات الداخلية للظاهرة موضع التحليل والوصول إلى أصغر أجزائها، ثم الكشف عن طبيعة أو وظيفة أو حجم أو نسبة الظاهرة أو علاقتها بغيرها من الظواهر باستخدام إجراءات وأدوات ملائمة؛ لافرق في ذلك بين الظواهر الاجتماعية والطبيعية والرياضية.

### منطق التحليل:

إن التفكير في الظواهر المختلفة والسعي إلى فهمها ومحاولة تفسيرها من خلال عملية التحليل؛ هو عملية عقلية فلسفية منطقية، تمثل أساس نشأة مختلف

هذه الدولة؛ وإلا فقد شرعيته. وهكذا فإنه لا يكفي لأن يكون حاكم الدولة شرعياً أن يركز على الاختيار الشعبي في وصوله للسلطة (سند السلطة)، وإنما يجب أيضاً أن تكون صفاته وخصائصه الشخصية وطريقة ممارسته للحكم معبرة تماماً عن الوعي الجماعي؛ وإلا فقد شرعيته.

### والخلاصة:

أن «السياسة» تعني انقسام الجماعات البشرية إلى حاكم يستأثر بالسلطة ومحكوم يخضع لها، وأنه قبل ظهور السياسة كانت هناك مجرد جماعات - وليست مجتمعات - تعيش في ظل سلطة جماعية مباشرة ولا تعرف معنى العلاقة السياسية أو الشرعية. وبظهور السياسة تحولت الجماعات إلى مجتمعات عرفت صورة السلطة المشخصة، ثم بتطور التفكير حول السلطة تحولت المجتمعات إلى دول ترفض السلطة المشخصة، وتأبى إلا إسناد السلطة كلها إلى المجتمع، والربط بين ممارسة السلطة وقيم هذا المجتمع ورغباته.

إن العمليات الذهنية التي يقوم بها الباحث أو المحلل السياسي في تحليله للظاهرة الانتخابية؛ هي العمليات الذهنية نفسها التي يلجأ إليها الكيميائي في تحليله للماء.

### التحليل السياسي:

في ضوء ما تقدم؛ فإن صفة «السياسي» هنا تعني انصراف التحليل إلى تلك الظواهر الاجتماعية المرتبطة بعملية انقسام المجتمع إلى حاكم ومحكوم، واستئثار الحاكم «بالسلطة» - بمعنى حق الأمر والنهي واحتكار أدوات العنف - والالتزام المحكوم

لإجراءات التحليل وأدواته نفسها، وإن كانت تخضع جميعاً لمنطق أو فلسفة التحليل نفسها (التجزئة من أجل التفسير)، فظاهرة الانتخابات لا تقبل التحليل باستخدام التنويم المغناطيسي، والمريض النفسي لا يمكن معالجته وتحليل شخصيته عن طريق التسخين.

طبيعة ظواهر كل علم هي التي تفرض مناهج ومسالك التعامل معها.

### أنواع التحليل (علوم مناهج البحث):

إن التحليل هو نوع من الاختبار للمادة المستهدفة، يهدف إلى الكشف عن طبيعتها من خلال مسالك ووسائل محددة تفرضها طبيعة هذه المادة نفسها. وقد اصطلح على تسمية هذه الطرق التي نتبعها في سبيل الوصول إلى حقيقة الظواهر بـ«المناهج». وقد استقلت هذه المناهج في نطاق المعارف العلمية المختلفة، وانتظمت في نطاق علم «مناهج البحث»، وهو الفرع الذي يُعنى بمسالك الاقتراب من ظواهر كل علم، أو المناهج الملائمة لعملية الإمساك بتلك الظواهر والكشف عن حقيقتها.

وعلى هذا فـ«التحليل السياسي» هو العلم الذي يُعنى بمناهج دراسة الظواهر السياسية، و«التحليل النفسي» هو استخدام مناهج التحليل النفسي في الكشف عن أغوار النفس البشرية، كما أن «التحليل الكيميائي» أو الرياضي لا يعدو أن يكون العلم الكاشف لمسالك التعامل أو أساليب الاقتراب من الظواهر الكيميائية أو الرياضية... وهكذا تتعدد أنواع التحليل أو علوم مناهج البحث بتعدد العلوم، ومن ثمَّ اختلاف طبيعة الظواهر المستهدفة بالتحليل، وإن اتفقت جميعاً حول منطق التحليل؛ بمعنى الكشف عن أصل الظاهرة، وحول الهدف من التحليل؛ وهو الوصول إلى الحقيقة. إن طبيعة ظواهر كل علم هي التي تفرض مناهج

العلوم الإنسانية والطبيعية والرياضية وتطورها على السواء، ولذا فإن عملية التحليل العلمي هذه تدخل في نطاق ما يُسمَّى «فلسفة العلوم»، كما أن الدرجات العلمية التي تُمنح للباحثين في مختلف مجالات التحليل العلمي ترتبط أيضاً بفلسفة هذه العلوم، لا فرق في ذلك بين دكتوراه الفلسفة في العلوم السياسية ودكتوراه الفلسفة في الكيمياء أو الجبر أو الهندسة؛ انطلاقاً من ارتكاز عملية التحليل في مختلف هذه العلوم على ثلاثة عناصر:

- محلل.

- مادة مستهدفة بالتحليل.

- إجراءات وأدوات للتحليل؛ بمعنى التجزئة من أجل التفسير.

إن العمليات الذهنية التي يقوم بها الباحث أو المحلل السياسي في تحليله للظاهرة الانتخابية؛ هي العمليات الذهنية نفسها التي يلجأ إليها الكيميائي في تحليله للماء، أو التي يلجأ إليها المحلل النفسي في تحليله للشخصية، أو الرياضي في تحليله للمعادلات الجبرية.

### منهج التحليل:

إن الفارق الوحيد بين هؤلاء المُحلِّلين أو الباحثين على اختلاف مجالاتهم؛ إنما يكمن في المسلك أو الطريق الذي يتبعه كل منهم للكشف عن طبيعة الظاهرة، فالباحث السياسي قد يلجأ إلى الاستقراء القائم على الملاحظة والمقارنة في تحليله للظاهرة الانتخابية، في حين يعتمد الكيميائي في تحليله للماء على عملية التسخين، أما عالم النفس فقد يعتمد على التنويم المغناطيسي في تحليله للشخصية.

هذا الاختلاف في مسلك الاقتراب من الظواهر يفرضه الاختلاف في طبيعة المواد المستهدفة بالتحليل، فطبيعة كل ظاهرة تفرض إجراءات تحليلها وأدواته، ولا يمكن تصوُّر أن تخضع الظواهر السياسية والقانونية والسلوكية والكيميائية والرياضية

ظاهرة السلطة، وجميع مناهج الكيمياء لا بد أن تكون ملائمة للتعامل مع الذرة.

### أنواع التحليل السياسي:

مثل غيره من العلوم؛ فإن علم السياسة يملك العديد من أنواع أو مسالك أو مناهج التحليل؛ ارتباطاً باستقلاله بدراسة ظاهرة السلطة وما يرتبط بها من علاقات من جانب، ثم بتعدد الظواهر السياسية التي تعبر عن هذه العلاقات حول السلطة من جانب آخر، فالتحليل السياسي لقيمة من القيم السياسية يختلف عن تحليل سلوك سياسي كالتظاهر أو الإضراب، ودراسة النظام السياسي تفترض أسلوباً يختلف عن أسلوب معالجة العلاقات الخارجية، والوقائع تختلف في منهج دراستها عن المواقف والآراء السياسية، ولا يمكن للباحث أن يختار من بين هذه الأنواع المختلفة

للتحليل السياسي إلا على مقتضى

مادة التحليل نفسها، والتي تفرض عليه النوع أو الأسلوب أو المنهج الملائم للتعامل معها والكشف عن جوهرها. كما أن غموض الظاهرة أو اتساع نطاق البحث أو ارتباط

موضوعه بالكشف عن العلاقات بين أكثر من ظاهرة؛ قد يفرض على الباحث استخدام أكثر من مسلك أو منهج واحد في التحليل.

والحقيقة أنه يمكننا وضع العديد من التصنيفات التي تعبر عن أنواع مختلفة من التحليل السياسي في ضوء معايير أو منطلقات متنوعة:

\* فمن حيث غاية أو مستوى التحليل السياسي: يمكن التمييز بين أربعة أنواع تعكس الأبعاد التي يمكن أن يصل إليها التحليل في ضوء الغاية من البحث، وهي: الوصف، والتفسير، والتوقع، والتخطيط السياسي<sup>(٣)</sup>.

ومسالك التعامل معها ومسالكه، ولذلك فإن لكل علم مناهجه التي تتلاءم مع طبيعة ظواهره، فالسياسة والطب والفلك والهندسة والقانون والجبر والكيمياء وغيرها؛ كلها علوم تملك مناهج مستقلة ترتبط بطبيعة ظواهرها، ولا يمكن تصور أن يخضع للمناهجية نفسها تحليل ظواهر مثل المعادلة الجبرية، والسلوك الانتخابي، وخسوف القمر، وكثرة حالات الانتحار، وتمدد المعادن، والخوف من الأماكن الضيقة، وانتشار مرض ما، وغيرها من الظواهر.

بل في إطار العلم الواحد تختلف أساليب التحليل أو مناهج البحث باختلاف طبيعة المادة المستهدفة، فالتسخين ليس هو الأسلوب الوحيد للكشف عن طبيعة كل ظواهر الطبيعة، فقد تفرض بعض الظواهر استخدام طرق أخرى كالتبريد أو التكتيف أو التحريك أو غير ذلك. وكذا في نطاق التحليل السياسي تتعدد

مسالك التحليل بتعدد طبيعة الظواهر السياسية التي قد تكون تنظيمية أو تاريخية أو قانونية أو سلوكية، ومن ثمّ تستدعي استخدام مسالك مختلفة للوصول إليها، كالمسلك الوظيفي أو التاريخي أو القانوني أو التجريبي

أو غيرها من المسالك التي يتلاءم كل منها مع طبيعة ظاهرة خاصة دون غيرها. فالمنهج المناسب لتحليل النظام السياسي لا يكون ملائماً لفهم السلوك السياسي، وهذا الأخير لا يصلح للتعامل مع القيم أو الفكر السياسي.

وهكذا تتعدد المناهج - أو أساليب التحليل - بتعدد العلوم وبتعدد ظواهر كل علم، فكما أن لكل علم مناهجه؛ فلكل فرع من فروع كل علم مناهجه المستقلة، وإن كان يجمع بين مناهج فروع العلم الواحد كونها ملائمة للتعامل مع وحدة التحليل النهائية في هذا العلم (السلطة في علم السياسة، الذرة في الكيمياء، السلوك في علم النفس...)، فكل مناهج التحليل السياسي يجب أن تصلح لدراسة

نظام الحكم، وتزايد دور «الإرهاب الدولي» قد يقود إلى تغييرات في السياسات الخارجية لبعض الدول الفاعلة في النظام الدولي.

### النوع الرابع (التخطيطي):

ينطلق من توقعات المستقبل ليضع الخطط الملائمة لمواجهتها أو منعها أو التحكم فيها. إن التطورات السياسية المتوقعة قد تأتي على مقتضى مصالح مجتمع معين وغاياته، كما أنها قد تشكل خطورة كبيرة على قيم مجتمع آخر ومصالحه، وهنا يأتي دور العلم لتقديم الخطط اللازمة لمواجهة هذه التطورات والتحكم فيها وفق ما تقتضيه مصلحة كل مجتمع.

إن غلق باب الهجرة أو فتحه، وزيادة النسل أو تحديده؛ هي من قبيل تلك القرارات الهادفة إلى التحكم في المستقبل الذي اكتشفت معالمه التحليلات السياسية من هذا النوع. وكذا فإن الحروب التي تخوضها الولايات المتحدة في هذه اللحظة ضد الدول الإسلامية وما تسميه «الإرهاب الدولي»؛ تأتي استجابة لنتائج الدراسات السياسية التي توقعت تعاظم القوى الإسلامية، وتحكمها في مصادر الطاقة، واتجاهها إلى التوحد والتكتل، ولذلك فإن الحروب الدائرة الآن لا يمكن تسويقها في ضوء الأسباب المعلنة، وإنما في إطار الخطط الغربية عموماً والأمريكية بصفة خاصة للتحكم في المستقبل، والحيلولة دون تكتل القوى الإسلامية أو سيطرتها على مقاليد الحكم أو على مصادر الطاقة.

\* ومن ناحية أخرى يمكن تصنيف التحليل السياسي إلى: وصفي وحركي، أو استاتيكي وديناميكي: الأول هيكلية، والثاني تجزيئي يتغلغل في أعماق الظاهرة، ويتتبع حركتها وتطورها، ويسعى للتحكم فيها وتوجيهها.

\* كما يمكن التمييز أيضاً بين التحليل الكلي والتحليل الجزئي، أو الماكروكوزمي

### النوع الأول: (الوصفي):

هو أبسط أنواع التحليل السياسي؛ إذ يقف عند حد وصف الهيكل الخارجي للظاهرة دون التطرق لمكوناتها الداخلية؛ مثل المتابعة الزمنية باستخدام المنهج التاريخي، أو تحليل النظام السياسي باستخدام الأسلوب القانوني، أو تحليل إحدى الوقائع (مظاهرة - عدم استقرار حكومي) لمعرفة خصائصها الكيفية والكمية من خلال الأسلوب الإحصائي. التحليل الوصفي بهذا المعنى هو مجرد تحليل هيكلية يقف عند وصف الإطار التنظيمي أو الخارجي للظاهرة موضع التحليل.

### النوع الثاني: (التفسيري):

يُعنى بتفسير الظاهرة وليس مجرد وصفها، وهي العملية التي تفترض الفهم العميق للظاهرة، وهذا بدوره يفترض اكتشاف طبيعة الظاهرة والوصول إلى جوهرها. مثال ذلك محاولة تفسير بعض الوقائع؛ مثل المظاهرات أو الإرهاب الدولي أو عدم الاستقرار الحكومي؛ بأسلوب لا يقف عند حد الوصف؛ وإنما يتعدى ذلك إلى محاولة التفسير والكشف عن الأسباب والعلاقات بين هذه الظواهر وغيرها؛ كالربط بين المظاهرة وفساد الحكم، أو بين الاستقرار السياسي وسيادة الطبقة الوسطى (أرسطو)، أو بين ما يُسمّى «الإرهاب الدولي» وعجز بعض الحكومات عن مواجهة التهديدات الخارجية لقيم شعوبها وسيادتها ومصالحها، أو بين الرأسمالية والقيم البروتستانتية (ماكس فيبر).

### النوع الثالث: (التوقعي):

لا يقف عند مستوى وصف الواقع وتفسيره، ولكنه ينطلق من هذا الواقع لتصور المستقبل الذي يمثل امتداداً طبيعياً لهذا الواقع. إنه التحليل المرتبط بالتطور السياسي المتوقع أو المحتمل، فتكرار المظاهرات قد يكون مؤشراً على تغيير محتمل في

الوصف أو التفسير أو التوقع أو التخطيط: (تحليل قيمي وصفي - تحليل قيمي تفسيري - تحليل قيمي توقعي - تحليل قيمي تخطيطي)، وأربعة أنواع ترتبط بالوقائع: (تحليل وقائعي وصفي - وقائعي تفسيري - وقائعي توقعي - وقائعي تخطيطي)، وهكذا بالنسبة إلى النظم والمواقف والقرارات.

\* وأخيراً؛ فإن هناك التقسيم الكبير للتحليل السياسي، بحسب الأسلوب أو المنهج المستخدم في عملية التحليل، إلى ثلاثة أنواع؛ هي: الهندسي، والاستنباطي، والاستقرائي.

### الهندسة السياسية:

هذا النوع من التحليلات السياسية لا يهدف إلى الكشف عن حقيقة الظاهرة المستهدفة، وإنما يسعى فقط لتسوية قرار أو موقف تحدّد سلفاً عن طريق تجميع وعرض المعلومات التي تسمح فقط بتحقيق هذا الهدف دون غيرها من المعلومات التي قد تحول دون ذلك؛ بما يعنيه ذلك من غياب الحياد والالتزام المنهجي، وحيث يسيطر على التحليل التحيز والذاتية والغائية.

ويسود هذا النوع من التحليل في الأجهزة الحكومية والحزبية والإعلامية والاستخبارية، وهو أقرب إلى أسلوب التقارير منه إلى البحوث والتحليلات السياسية؛ لاعتماده فقط على هندسة تجميع وعرض المعلومات التي تؤيد غاية الباحث وتؤكد تنكره للتقاليد العلمية المنهجية القائمة على الحياد والموضوعية. ويدخل في نطاق هذا النوع من أنواع التحليل السياسي: كتاب (الأمير) لمكيا فيللي والكتب الستة للدولة لبودان<sup>(٤)</sup>.

### التحليل الاستنباطي:

ويُطلق عليه أيضاً التحليل المنطقي أو العقلي أو الفلسفي أو العقدي أو الذاتي أو المثالي أو الصوري؛ بسبب أنه يركز في عملية الوصول إلى

والميكروكوزمي: أي التحليل الذي يعالج ظاهرة كلية كالنظام السياسي أو مفهوم العدالة أو الأمم المتحدة، والتحليل الذي يُعنى فقط بأحد عناصر أو أجزاء ظاهرة كلية؛ كالدور السياسي للقضاء في نظام سياسي معين، أو الدوافع السياسية لاستخدام حق الفيتو في مجلس الأمن.

\* ومن ناحية رابعة؛ فإننا نستطيع أن نميز بين عدة أنواع للتحليل السياسي؛ انطلاقاً من الموضوعات المستهدفة بعملية التحليل، والتي تختلف باختلاف المجتمعات والمناطق والحضارات، فهناك التحليل السياسي الأمريكي، ومحوره النظام العالمي الجديد والقيادة الأمريكية للعالم والإرهاب الدولي. وحتى وقت قريب كان هناك التحليل السياسي الشيوعي أو الاشتراكي، والذي كان يعبر عن اهتمامات وموضوعات هذا المعسكر، والعالم الثالث تميز أيضاً بتحليلاته السياسية النابعة من واقعه ومشكلاته، وللعالم الإسلامي قيمه وتوجهاته التي تستر خلف مختلف الكتابات الإسلامية، وكذلك فإن موضوعات التحليل السياسي في أوروبا الموحدة ليست هي الموضوعات نفسها التي شكلت مادة التحليل في الفترة السابقة على الوحدة. وهكذا يرتبط التحليل السياسي بواقع كل مجتمع ويظهر اهتماماته الخاصة.

\* ومن ناحية خامسة؛ فإن الانطلاق في التمييز من نوع الظواهر الخاضعة للتحليل؛ يقدم لنا خمسة أنواع من التحليل السياسي، يعالج كل نوع منها واحداً من هذه الأنواع الخمسة للظواهر التي يدور حولها التحليل السياسي عموماً، وهي: القيم، والنظم، والوقائع، والمواقف، والقرارات. فإذا أضفنا إلى هذا المعيار معياراً آخر هو الغاية من عملية التحليل أو مستوياته، والتي سبق وحددناها في أربعة أنواع تعنى بالوصف والتفسير والتوقع والتخطيط السياسي، لأصبح عندنا عشرون نوعاً من أنواع التحليل السياسي: أربعة أنواع ترتبط بالقيم وتهدف إلى

في التقاليد العلمية السياسية المعاصرة؛ لما تتسم به من موضوعية صارمة مع دقة في التعبير، وعمق في التحليل والتأصيل، وقدرة على التفسير والتعميم؛ خلافاً لكلا المنهجين التجريدي والتجريبي اللذين يقدمان معرفة محدودة؛ إما في نطاق العقل بعيداً عن الواقع، وإما في نطاق واقع محدود من حيث المكان والزمان؛ في غياب إعمال العقل من أجل التفسير والتعميم وصياغة القانون.

وقد اعتمد الباحث -كاتب هذا المقال- على هذا المنهج العلمي التجريبي في محاولته لاكتشاف حقيقة دور الدين في الواقع السياسي القومي الغربي: فبدأ بملاحظة أن الدين يؤدي دوراً فعالاً في هذا الواقع الذي من المفترض أنه يقوم على الفصل بين الدين والسياسة (تجريب).

ثم قام بتصوير فرض أولي مفاده وجود ارتباط بين الدين والسياسة في الواقع الغربي في ظل الدولة القومية التي قامت أصلاً على مبدأ الانفصال الوظيفي والحركي بين النشاط السياسي والنشاط والديني؛ بما يفرضه ذلك من عدم ارتباط الحركة السياسية بالقيم أو النشاطات الدينية (تجريد).

ثم إنه عاد إلى الواقع الغربي المستهدف بالتحليل لملاحظته، وعرض هذا الفرض الأولي عليه، ومتابعة واقع دور الدين في الحياة السياسية في مختلف الدول التي تنتمي إلى الواقع الغربي بالملاحظة والمقارنة (تجريب).

ثم لينتهي أخيراً إلى تقديم تفسير علمي في شأن هذه العلاقة؛ بعدما ثبت بالتجريب صحة الفرض الأولي، ومطابقته للواقع في شتى نماذج أو حالات الواقع الغربي المستهدف.

هذا التفسير لا يعدو أن يكون تعميماً لنتيجة البحث من منطلق الاستنباط أو التذليل العقلي؛ ذلك أن إعمال الذهن في الملاحظة الأولية وما قادت إليه من فرض أولي ثم استقراء الواقع بالملاحظة المُمحصنة

الحقيقة على عملية التذليل العقلي وحدها؛ في انقطاع تام عن الواقع ومعطياته التجريبية. ويسود هذا النوع من التحليل في الدراسات السياسية المتعلقة بالقيم والمبادئ والدساتير والحكومة المثالية والفكر السياسي، وهو التحليل نفسه المستخدم في الدراسات الفلسفية والقانونية والرياضية، والذي يعتمد كلية على العقل وعلى الاستنباط المنطقي للتائج من مقدماتها، ويدخل في نطاق هذا التحليل: كتاب (الجمهورية) لأفلاطون، و(Leviathan) لهوبز، و(الحكومة المدنية) للوك<sup>(٥)</sup>.

### التحليل الاستقرائي:

وهو التحليل السائد في العلوم الطبيعية قاطبة، وفي بعض جوانب من العلوم الإنسانية التي لا ترفض بطبيعتها الخضوع لعملية التجريب والاختبار. ويُطلق على هذا النوع من التحليل أيضاً وصف التحليل الاختباري أو الموضوعي؛ من ناحية أنه لا يسمح للباحث بالتأثير في نتائج البحث، ويعطي الفرصة كاملة للمادة نفسها المستهدفة بالتحليل لكي تُفصح عن ذاتها، وتعبّر عن حقيقتها، وتكشف عن مكوناتها وعناصرها؛ دون تدخل من الباحث، وفي غياب مؤثرات أخلاقية أو قيمية أو مقدمات فلسفية لا يمكن اختبارها تجريبياً، وهذا هو المنهج المستخدم في أغلب الدراسات الطبيعية والكيميائية.

### التحليل العلمي التجريبي:

وهو التحليل الذي يقوم على الجمع بين التجريب والتجريد؛ مع تغليب التجريب وجعله أساس عملية التحليل، وإفساح المجال للعقل لمساندة التجربة عن طريق بعض العمليات الذهنية؛ كتصوير الفرض الأولي، وتعميم النتائج، وصياغة القانون العلمي.. وغيرها. ولا شك أن المعرفة السياسية التي تستمد من منهجية تقوم على الجمع بين الملاحظة وإعمال الذهن، أو بين التجريب والتجريد، هي الأكثر قبولاً

## النظرية والفكر

الموضوعية والحياد في التحليل والتأصيل. ويُطلق بعضهم على هذا المنهج وحده وصف «المنهج العلمي» دون ما عداه من مناهج لا تقوم على هذا الجمع بين التجريب والتجريد، وهو المنهج الشائع حالياً في دراسة النظرية السياسية، والحياة السياسية، والعلاقات الدولية.

### أدوات التحليل السياسي:

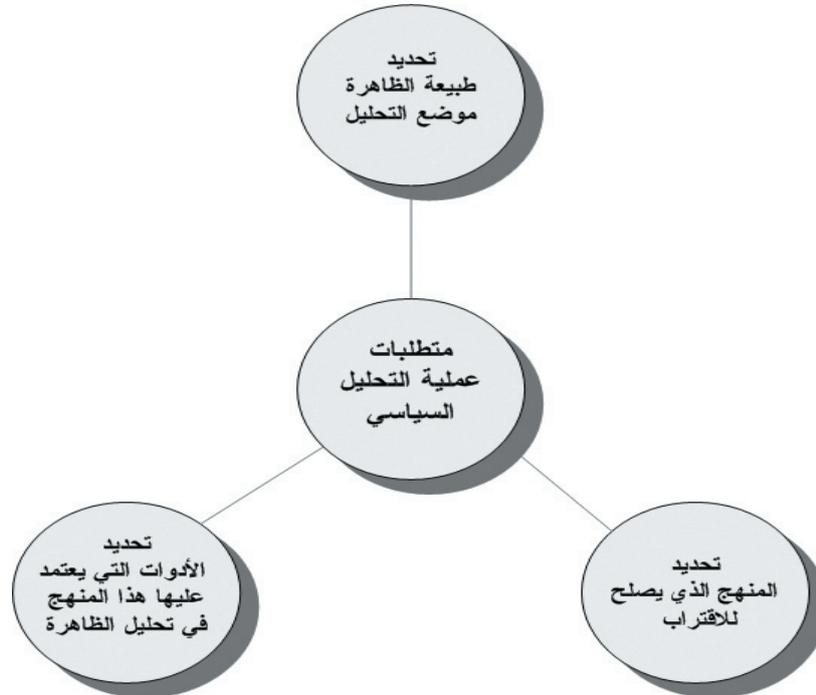
كما أن مادة البحث - أو الظاهرة المستهدفة بالتحليل - هي التي تحدد مسلك أو منهج تحليلها؛ فإن كل منهج بدوره يملك أدواته الخاصة؛ ولذا فإن اختيار أدوات التحليل السياسي يرتبط بتحديد مسالك أو مناهج هذا التحليل، ولا موضع للحديث عن أدوات التحليل قبل اختيار المنهج.

وهكذا؛ فإن عملية التحليل السياسي، أو كل عملية تحليل علمي أخرى، تفترض:  
أولاً: تحديد طبيعة الظاهرة موضع التحليل.

والمقارنة؛ لا بد أن يقود إلى حقيقة منطقية، وهي أن الدين هو أحد متغيرات العلاقة السياسة من جهة، وأحد مقومات عملية التجانس والتكتل الاجتماعي والسياسي من جهة أخرى؛ في ظل هذا النموذج القومي الغربي الذي يسود الاعتقاد أنه يعتمد في تجانسه الاجتماعي وحركته السياسية على عامل الشعور القومي وحده (تجريد).

وهكذا: تجريد فتجريد، ثم تجريب فتجريد. ويُطلق على هذا القانون، أو التعميم أو التفسير الذي انتهى إليه البحث، وصف «الفرض العلمي»؛ أي الذي تم اختباره تجريبياً، وهو في النهاية ليس سوى أعمال للذهن في شأن معطيات الملاحظة؛ تماماً مثلما اعتمد الفرض الأولي على العقل في صياغته وتصويره<sup>(٦)</sup>.

هذا التداخل بين الواقع والعقل، أو بين الملاحظة والتدليل العقلي، جعل من هذا المنهج أكثر المناهج شيوعاً وقبولاً في البحوث السياسية التي تهدف إلى



### متطلبات عملية التحليل السياسي

في العلوم الاستنباطية كالمنطق والفلسفة والقانون والفقه، وفي بعض فروع المعرفة السياسية كالفكر السياسي، والفلسفة السياسية، والقيم السياسية، والأيدولوجيات السياسية، والقانون الدستوري، والقانون الدولي.

«المنهج الاستقرائي» في التحليل السياسي بدوره يملك أدواته التي تمكنه من الاحتكاك المباشر بالواقعة، وجمع المعلومات المباشرة وغير المباشرة عنها في استقلال تام عن العقل، مثل الملاحظة والتفاعل مع الواقعة، وجمع المعلومات المباشرة عنها عن طريق الاستبانة أو الاستبار، وجمع المعلومات غير المباشرة من الكتب والمصادر الوثائقية، وهي الأدوات الملائمة لظواهر الحياة السياسية والعلاقات الدولية.

ويجمع المنهج العلمي التجريبي بين أدوات الاستقراء وأدوات الاستنباط، كما يسمح باستخدام العديد من الأدوات الأخرى - كبناء النماذج، وتحليل المضمون، والتحليل الكمي للوقائع، والأساليب الرياضية والإحصائية، والعقول الإلكترونية، والتحليل المعلمي أو التاريخي - كبديل لعملية التجريب وغيرها.

أما «التحليل الهندسي» بمعنى أسلوب إعداد التقارير؛ فإنه لا يلتزم باستخدام أداة محددة ترتبط بمنهجية ملائمة، ولكنه - تحليل نفعي غير علمي - يلجأ إلى كل أداة ممكنة لتحقيق غاياته غير العلمية، وسواء منطقية كانت هذه الأدوات أم ميدانية، ملائمة أم غير ملائمة لموضوع التحليل، موضوعية أم ذاتية، وسواء ارتكزت هذه الأدوات على معلومات صحيحة أم ملفقة، ووقائع فعلية أم مفتعلة. ويدخل في ذلك الفروض، والاستنتاجات، والنصائح، وقواعد العمل، والأرقام، والوقائع، وشهادات الشهود، والصور، والأفلام، والتسجيلات الصوتية، والتقارير الاستخباراتية، والبلاغات، وجمع المعلومات من الملفات والأجهزة الرسمية، وغير ذلك (٧).

وثانياً: تحديد المنهج الذي يصلح للاقتراب من هذه الظاهرة والكشف عن عناصرها.

ثم ثالثاً: تحديد الأدوات التي يعتمد عليها هذا المنهج في تحليل الظاهرة.

أداة التحليل بهذا المعنى يجب أن تكون ملائمة للتعامل مع طبيعة الظاهرة موضع التحليل، فليست كل أداة تصلح لمعالجة كل ظاهرة، وقد تكون هناك أكثر من أداة يمكنها التعامل مع الظاهرة، وعلى الباحث أن يختار أكثر هذه الأدوات صلاحية وملائمة لطبيعة الظاهرة، وقد يستخدم أكثر من أداة على مقتضى طبيعة الظاهرة والمرحلة التي تمر بها عملية التحليل؛ ذلك أن غموض الظاهرة أو اتساع نطاق البحث قد يفرض استخدام أكثر من منهج واحد، ومن ثمَّ العديد من الأدوات المرتبطة بهذه المناهج. وهكذا تتعدد أدوات التحليل بتعدد الأنواع والمناهج لظواهر التحليل؛ ف«المنهج الاستنباطي» له أدواته التي تسمح بعمليات القياس والتصوير والصياغة والتعميم وغيرها من الأدوات التي يعتمد عليها التحليل العقلي أو المنطقي.

و«المنهج الاستقرائي» له أدوات أخرى تسمح له باستقراء الواقع واختباره كالملاحظة والاستبانة. كما أن «هندسة التقارير السياسية» أيضاً تركز على مجموعة من الأدوات؛ لانتقاء المعلومات المطلوبة، وممارسة الإقناع، والتأثير، وتوجيه عملية اتخاذ القرار.

إن الاستدلال العقلي هو الأداة الرئيسة التي يقوم عليها التحليل الاستنباطي، فالباحث هنا ينطلق من التسليم بإحدى أو بعض المسلمات الفكرية أو المبادئ الأخلاقية، ثم يسعى إلى تأكيد منطوقها أو رفضه من خلال المنطق المجرد، وهو قد يلجأ في تحليله إلى استخدام أدوات منطقية كالتعميم، والانتقال من العام إلى الخاص (الاستنباط)، والانتقال من الجزء إلى الكل (الاستقراء المنطقي) والقياس، وغيرها من الأدوات شائعة الاستخدام

فلا يمكن تصورها أيضاً بدون استراتيجية، فالسلاح والاستراتيجية هما المقومان الضامنان للنصر في المعارك<sup>(٩)</sup>.

هذا التصور اليوناني لمفهوم الاستراتيجية؛ هو أساس نشأة علم أو فن الاستراتيجية في التقاليد العلمية الغربية، وهو العلم أو الفن الذي يُعنى بدراسة التحركات العسكرية، وتوظيف مختلف الطاقات السياسية والاقتصادية والعسكرية والنفسية لدعمها، ومدّها بالخطط والحيل والمناورات التي تسبق وتصاحب العمليات؛ من أجل تحقيق النصر بأقل الأعباء.

### الطابع السياسي لمفهوم الاستراتيجية:

برغم ارتباط الاستراتيجية بالعمل العسكري Military؛ فإن الطابع السياسي للأهداف النهائية للحرب يجعل من الاستراتيجية - وظاهرة الحرب برمتها - عملاً سياسياً باعتبارها أداة تحقيق المصالح أو الغايات السياسية، كما أن الحرب هي في النهاية استجابة لقرار سياسي؛ ونتيجة مترتبة على طبيعة العلاقات الدولية التي يغلب عليها العداء نتيجة لتمييز الدول بإطارها الجغرافي وتاريخها وأصولها ومواردها ونظمها ومعتقداتها من جهة، ثم احتفاظ كل دولة بحق امتلاك واستخدام أدوات القوة على مقتضى مصالحها في غياب أي احتكار شرعي لأدوات العنف من قبل منظمة أو هيئة دولية من جهة أخرى.

هذه الطبيعة القائمة على التمييز والاختلاف وامتلاك أدوات العنف طبعت العلاقات الدولية بطابع العداء، وجعلت السلام فيها استثناءً والحرب أسلوباً أو منهجاً أصلياً والاستراتيجية أداة من أدوات الحرب.

والواقع أن السلام نفسه ليس سوى إحدى الحيل الاستراتيجية التي تلجأ إليها الدول لوقف الحرب - لا العداء - على مقتضى مصالحها القومية، فإذا ما انقضت تلك المصلحة عادت الحرب لتحكم

السلام ليس سوى حالة مؤقتة ناتجة من تعاهد بعض الدول على وقف الحرب بينها؛ دون أن يعني ذلك إنهاء حالة العداء الكامن في صلب العلاقات الدولية بحكم التميز والاختلاف وشيوع أدوات العنف.

### مفهوم الاستراتيجية:

برغم أن مفهوم الاستراتيجية Strategy المتداول اليوم قد اتسع وتنوع المعاني التي يفهمها الناس منه؛ فإن الأصل اليوناني للكلمة وثيق الصلة بظاهرة الحرب وصفة الخداع، فكلمة Stratégia اليونانية تعني القيادة أو البراعة العسكرية Generalship وهي من كلمة stratégos وهو القائد العسكري أو الجنرال General، أو من كلمة Stratos والتي تعني الجيش Army، أو من كلمة Stratégéma التي تعبر في التقاليد اليونانية عن الغش والخداع والتضليل كسلوك للقائد العسكري في تعامله مع الخصوم، وهو المفهوم نفسه من المرادف الإنجليزي للكلمة وهو كلمة Stratagem، والتي تعني الحيلة أو المناورة العسكرية التي تهدف إلى تضليل العدو أو خداعه<sup>(٨)</sup>.

وهكذا؛ فإن أصل كلمة «استراتيجية» يشير إلى الخدع التي هي من متطلبات إحراز النصر في الحروب؛ بمعنى طرق خداع العدو والتحايل عليه وتضليله بهدف هزيمته والنيل منه. فالى جانب التسلح بكل ما يمكن تدييره من أنواع وكميات الأسلحة تصبح الاستراتيجية هي العنصر الثاني المكمل لهذا العنصر الأول كشرط لتحقيق النصر في الحرب. وكما لا يمكن تصور حرب بلا أسلحة،

على مواجهة ما تفرضه المعركة من ظروف وأوضاع لم تكن واردة في تقدير صاحب قرار الحرب<sup>(١١)</sup>. تأتي كلمة Stratagem الإنجليزية، والمستمدة من الأصل اليوناني Stratégema، بمعنى الغش أو الخداع، لتضفي على هذا العلم أو الفن الطابع المكيافيللي الذي يدور حول فكرة أن الغاية تسوّغ الوسيلة، ولتطلق يد القائد العسكري في الميدان وتحرره من كل قيد مادي أو معنوي قد يحول بينه وبين إحراز النصر أو الانسحاب بأقل خسارة ممكنة. ويدخل في هذا الباب استخدام مختلف الحيل والمكايد وأساليب الغش والتضليل والمكر، والتي قد يتفتق عنها ذهن القائد العسكري وأعوانه من المتخصصين في مثل هذه «المهارات»<sup>(١٢)</sup>.

### تطور مفهوم الاستراتيجية

اتسع مفهوم الاستراتيجية في الإدراك الغربي ليغطي كل الترتيبات التي تتطلبها عملية الاستعداد

اتسع مفهوم الاستراتيجية في الإدراك الغربي ليغطي كل الترتيبات التي تتطلبها عملية الاستعداد الدائم لمواجهة أي عدو، معروف أو محتمل، وتدبير جميع المواد والعناصر الضرورية لحماية الأمن القومي

الدائم لمواجهة أي عدو، معروف أو محتمل، وتدبير جميع المواد والعناصر الضرورية لحماية الأمن القومي، من منطلق القناعة بأن أساس العلاقة بين الدول هي الحرب، وما السلام إلا عَرَض طارئ تقتضيه مصلحة الطرفين.

بهذا المعنى أضحى البترول مادة استراتيجية، وصارت لبعض المواقع الجغرافية أهمية استراتيجية،

العلاقات بين الدول. فالسلام ليس سوى حالة مؤقتة ناتجة من تعاهد بعض الدول على وقف الحرب بينها؛ دون أن يعني ذلك إنهاء حالة العداء الكامن في صلب العلاقات الدولية بحكم التميز والاختلاف وشيوع أدوات العنف<sup>(١٠)</sup>.

### علم وفن الاستراتيجية:

الاستراتيجية - بهذا المعنى - هي علم وفن في آن واحد؛ فهي علم يُعنى بدراسة ظاهرة الحرب، وكيفية إحراز النصر فيها، ثم هي فن يجب أن يتقنه القائد العسكري حتى يمكنه إدارة العمليات العسكرية بفعالية ومرونة؛ بما يسمح بالإلغاء والإضافة والتعديل بحسب ما يقتضيه سير المعركة وحقيقة الأوضاع على الأرض؛ وذلك لضمان تحقيق الهدف، وهو إما الفوز في المعركة؛ وإما الخروج منها بأقل قدر من الخسارة.

إن إحاطة القائد العسكري بمعطيات علم الاستراتيجية، ثم مهارته في الميدان، وبراعته في استخدام مختلف الحيل والمناورات التي تفرضها عملية المواجهة؛ هو أحد مقتضيات أو مؤهلات القيادة العسكرية في التقاليد الغربية، ابتداءً من الخبرة اليونانية.

إن استئصال الطرف الآخر، أو على الأقل تحطيم إرادته وإجباره على الاستسلام، هو الغاية النهائية من كل حرب. والاستراتيجية هي التي تجيب عن السؤال: كيف؟ بمعنى أنه في ضوء الهدف المطلوب والقدرات العسكرية المتاحة ما هي المسالك والأدوات والمهارات التي تسمح بتوظيف هذه القدرات المتاحة لتحقيق الهدف المطلوب.

ولا شك أنه بدون هذا التحديد لكيفية تحقيق الهدف، ومهما بلغت القدرات العسكرية المادية؛ فإن القوات المشاركة في عملية المواجهة سرعان ما تعاني من الضياع والتشتت وفقدان القدرة على مواجهة مستجدات المعركة وعدم امتلاك القدرة

في ضوء هذا التصور الغربي لمفهوم الاستراتيجية يمكن تفسير الاهتمام الأمريكي والغربي عموماً بمنطقة الخليج العربي والشرق الأوسط، كما يمكن فهم الدور الغربي في زرع إسرائيل ودعمها، كما أن هذه الحرب الدائرة في العراق لا يمكن فهمها وتفسيرها إلا من منطلق مفهوم الاستراتيجية.

وقد ازداد المفهوم اتساعاً ليشمل كل الأشخاص والمناصب والقضايا والأفكار والمنظمات التي ترتبط بالأمن القومي، أو بعناصر القوة في المجتمع، أو بعملية المواجهة مع المجتمعات الأخرى المحيطة، والتي هي بحكم الطبيعة معادية، فأصبح هناك فكر استراتيجي وتقرير استراتيجي، ودراسات استراتيجية، ومعهد أو مركز استراتيجي وقرار استراتيجي ومتخصص استراتيجي Strategist. وهكذا انتقل المفهوم من نطاقه الأول في المجال العسكري إلى المجال السياسي، ثم إلى المجال الفكري والعلمي، إلا أنه في جميع هذه التطورات ظل مرتبطاً بقضية الأمن القومي، وبضمان التفوق العسكري، وبتأمين حاجات الشعب الأساسية؛ باعتبار أنه دائماً في حالة عداء مع غيره من الشعوب؛ مما يفرض عليه الإعداد الدائم لمصادر القوة والاستعداد المستمر للحرب.

التطور الأخير في مفهوم الاستراتيجية ابتعد به عن هذا المضمون العسكري وذاك البعد السياسي، كما جرّده مما لصق به من صفات الخداع والغش والتضليل والاعتداء على الآخر من أجل تأمين متطلبات الأمن القومي، وليسלט الضوء فقط على كل ما تتطلبه هذه العمليات من عمق في الإدراك، وبراعة في التخطيط وقدرة على القيادة والتحكم، وإعداد مسبق للمسالك والأدوات اللازمة لتحقيق الهدف.

لقد أضحت الاستراتيجية مجرد صفة للعمليات التنظيمية التي يتطلبها إنجاز هدف معين؛ سواء كان ذلك في مجال البحث العلمي أو الإدارة أو الرياضة

كما أصبح لبعض المواد الغذائية الضرورية لحياة الشعوب وصمودها في المعارك - كالقمح فضلاً عن المياه - أهمية استراتيجية، وكذا تمتعت أغلب المواد الخام التي تتوقف عليها الصناعات وبصفة خاصة الصناعات العسكرية - كاليورانيوم - بأهمية استراتيجية خاصة. وهكذا أصبحت صفة الاستراتيجية Strategic لصيقة بكل هذه المواقع أو المواد الضرورية للأمن القومي وتغذية الشرايين التي تمد الشعوب والجيوش بمتطلباتها الأساسية، وبكل ما تحتاج إليه من عدد وعتاد ومصادر للطاقة ومواقع جغرافية تضمن لها التفوق ومن ثم النصر، وفرض إرادتها وتحقيق مصالحها وحماية أمنها.

وبعبارة أخرى: فإن صفة الاستراتيجية صارت تُطلق على كل ما هو ضروري أو جوهري Essential

**أضحت الاستراتيجية - في أوسع معانيها - هي علم وفن التخطيط والتنظيم والإعداد المسبق.**

لحياة الشعوب وقوتها ولولم يكن متوفراً داخل حدودها القومية؛ لأن افتقادها لهذا العنصر أو ذاك قد يكون سبباً لهزيمة جيوشها وانكسار إرادتها في أول مواجهة مع عدو خارجي، كما أن غياب هذا العنصر سوف يتسبب في ضعف الدولة وطمع غيرها فيها في ظل علاقة العداء التي تحكم العلاقات الدولية.

وبناءً عليه أضحي على الدول أن تسعى دائماً لامتلاك كل عنصر مهم لأمنها القومي حتى لو كان موجوداً خارج حدودها، حتى لو اضطرت في سبيل ذلك إلى الدخول في مواجهات عسكرية أو تحالفات ومعاهدات مع هذا الطرف أو ذاك من الأطراف التي تملك هذا العنصر الاستراتيجي الذي تحتاج إليه الدولة.

«الاستراتيجية» هنا تعني التصور الشامل لكيفية إدارة الحرب بما تتضمنه من أساليب الهجوم والدفاع والكر والفر والتفاوض والمناورة والخداع وغيرها. أما «التكتيك» فيعني هذا الأسلوب أو ذلك من أساليب الاستراتيجية، والتكتيك هو أداة تنفيذ الاستراتيجية.

وهكذا؛ فإن وضع استراتيجية معينة يتضمن في الوقت نفسه وضع التكتيكات التي سوف تعتمد عليها الاستراتيجية في تحقيق الأهداف المرجوة. والتكتيك - كالأستراتيجية - كلمة يونانية أصلها Taktika بمعنى الترتيب والتنظيم، أو Taktiké بمعنى فن نشر القوات في الحرب، وكلاهما من Taktikos بمعنى النظام، والأصل هو كلمة Taktos بمعنى مُنظَّم أو مُرتَّب<sup>(١٤)</sup>.

وقد عوّلت التقاليد العلمية الغربية المعاصرة على هذا المعنى المرتبط بأدوات ممارسة أعمال القتال في الحرب، وجعلت من تعلم مادة التكتيك - بهذا المعنى - شرطاً للتخرج في الكليات والمعاهد العسكرية، وصار التكتيك - كالأستراتيجية - علماً وفناً. ولكن إذا كانت «الأستراتيجية» هي علم وفن تخطيط وإدارة الحرب في جملتها، وهي من اختصاص القائد العام للقوات المسلحة، فإن «التكتيك» هو علم وفن تنفيذ الاستراتيجية وتحقيق غاياتها، وبصفة خاصة فيما يتعلق بطرق وفنون وأدوات نشر وتوجيه الجنود والسفن والطائرات وسائر المركبات أثناء الحرب، ويضطلع به قادة الوحدات أو وحدات عسكرية متخصصة يُطلق عليها اسم Tactical Units، وتضم خبراء في عملية التكتيك مهرة في إعداد وإنجاز المناورات يطلق عليهم وصف Tacticians، وهؤلاء يستعين بهم الاستراتيجيون قبل وضع استراتيجية القتال وأثناءها؛ لكونهم أكثر ارتباطاً بالواقع ودراية بالأدوات المتاحة في الظروف المختلفة، وإلا صارت الاستراتيجية بعيدة عن الواقع صعبة التنفيذ. فالتعاون بين

أو غير ذلك. وهكذا برزت مفهومات جديدة مثل الإدارة الاستراتيجية Strategic Management، واستراتيجية البحث Research Strategy، واستراتيجية الفريق Team Strategy؛ لتعبّر عن عملية ارتكاز الإدارة أو البحث العلمي، أو لعب الفريق إلى خطة واضحة تحدد المسالك والأدوات الكفيلة بتحقيق غاية الإدارة، أو هدف البحث العلمي، أو فوز الفريق الرياضي. لقد أوضحت الاستراتيجية - في ضوء هذا التطور - مجرد تعبير عن عملية تنظيم أو تخطيط تحكم العمل الإداري أو البحثي أو الرياضي أو غيرها، ولذلك عادة ما يستبدل بمصطلح الأيديولوجية - بهذا المعنى - مصطلح الخطة أو التخطيط، وأحياناً يُقرن بينهما، فيقال مثلاً: التخطيط الاستراتيجي Strategic Planning أو خطة الفريق Team plan أو خطة البحث Research plan أو خطة البحث واستراتيجيته Research plan and strategy<sup>(١٣)</sup>، وهكذا.

لقد أوضحت الاستراتيجية - في أوسع معانيها - هي علم وفن التخطيط والتنظيم والإعداد المسبق، وعلى الباحث عن المعنى الدقيق المقصود بمصطلح الاستراتيجية في سياق معين؛ أن يحدد أولاً طبيعة هذا السياق، وما إذا كان ينتمي إلى المجال العسكري أو السياسي أو العلمي أو الإداري أو الرياضي أو غير ذلك، وبناءً عليه يستطيع أن يتبين المعنى المقصود في ضوء ما سبق وذكرناه من تطور في دلالات المفهوم.

### الاستراتيجية والتكتيك:

الفارق بين الاستراتيجية والتكتيك Tactics كالفارق بين المنهج والأداة، ورغم أن الاستراتيجية نفسها هي أداة من أدوات الحرب التي هي منهج أو وسيلة من وسائل التعامل مع العدو؛ فإن التكتيك بدوره هو أداة من أدوات الاستراتيجية حين تصبح هذه الأخيرة هي منهج أو أسلوب الاقتراب من الطرف الآخر والتعامل معه.

على عناصر أقل من الاستراتيجية، وغالباً ما تستخدم بمعنى البرنامج Program أو المشروع Project اللازم لإنجاز شيء معين قد يكون مهماً مثل إعداد أطروحة للحصول على درجة الدكتوراه (خطة البحث)، وقد يكون محدود الأهمية مثل مجرد القيام برحلة (خطة أو برنامج الرحلة)، أو إعداد حفل (برنامج الحفل)، أو حتى قضاء أمسية (خطة قضاء ليلة العيد)، فجميع هذه الخطط وأمثالها أقل من أن توصف بالاستراتيجية رغم أنها تقتض عناصر الاستراتيجية نفسها؛ من حيث الإعداد المسبق، وتصوير الأساليب والأدوات، وتنظيم وترتيب الإجراءات، ولذلك فمن اللائق أن يقال: خطة الرحلة، أو برنامج الحفل، أو خطة العلاج. ومن غير المستساغ وصف أي من ذلك بالاستراتيجية.

### الهوامش:

- (١) لا يكفي بطبيعة الحال أن تقتصر الجهود هنا على مجرد تغيير الأسماء الأجنبية بأخرى عربية ذات معان إسلامية، وإنما المقصود بناء وتأسيس مفهومات جديدة في نطاق دراسات علمية كاملة للواقع الإسلامي، تنطلق من المنهجية العلمية الإسلامية، وترتبط بخصائص هذا الواقع.
- (٢) راجع حول مفهوم التحليل بصفة عامة: Webster's New World Dictionary of the American Language (N.Y.: Simon and Schuster, 1984); New International Dictionary of the English Language (N.Y.: J.G. Ferguson Publishing Co., 1984); Merriam-Webster Online Dictionary (Internet).
- (٣) راجع حول مختلف أنواع ومستويات التحليل السياسي: د. حامد ربيع: التحليل السياسي (مذكرات، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٧١م)، ص ١٩، ٢٠، ٧١، ٧٢، ٧٤، ١٢٣، ١٣١، ١٣٥، ١٣٨، ١٨٢، ١٨٣، ١٩٣. د. طه بدوي: النظرية السياسية (القاهرة والإسكندرية: المكتب المصري الحديث، ١٩٨٦م)، ص ٣١٠.
- (٤) راجع حول محاولة كل من مكيافيلي وبودان: د. طه بدوي، المرجع السابق نفسه، ص ٢٧٦-٢٧٧.
- (٥) راجع حول ذلك: المرجع السابق نفسه، ص ٢٧١، ٢٧٩، ٢٨١.

الاستراتيجي والتكتيكي هو الضمان الوحيد لبناء استراتيجية كاملة للمعركة، تجمع بين العلم والفن، والفكر والممارسة، والأهداف ووسائل تحقيقها، والمنهج والأداة؛ مما يعطي الاستراتيجية الطابع العلمي الواقعي، ويضمن لها النجاح في إحراز أهدافها.

### الاستراتيجية والخطة:

الاستراتيجية أعم من الخطة plan وأكثر ارتباطاً منها بالنواحي العسكرية والسياسية وبمستوى القيادة العليا، ولكن يجمع بينهما وحدة الجوهر، والذي ينصرف إلى عملية الإعداد المسبق لإنجاز هدف محدد من خلال عمليات التحديد للعناصر الفاعلة والترتيب والتنظيم والجدولة وغير ذلك<sup>(١٥)</sup>. فالقائد العام للجيش - والذي قد يكون هو نفسه رئيس الدولة - هو الذي يضع استراتيجية الحرب ككل Strategy of the war، في حين يضع كل قائد في الميدان خطته المستقلة للهجوم Plan of attack أو الانسحاب Plan of retreat في ضوء الظروف التي يميلها عليه الواقع.

فالخطة هنا هي أسلوب قطاع محدود من الجيش لتنفيذ مهامه القتالية، هجوماً أو انسحاباً، في إطار الاستراتيجية العامة المحددة سلفاً من قبل القيادة العليا للجيش، أو هي فرع من فروع الاستراتيجية يخص أحد قطاعات الجيش في أحد المواقف أو المواقع القتالية، وحيث معطيات القتال في هذا الموقع من جانب، ومرونة الاستراتيجية نفسها من جانب آخر، يسمح لقائد هذا القطاع بوضع خطة تسمح لقواته بتحقيق النصر أو الانسحاب بأقل الأعباء.

هذه الخطة يصعب وصفها بالاستراتيجية، ولكنها لا تعدو أن تكون مجرد خطة فرعية تم رسمها في ضوء وعلى مقتضى الاستراتيجية العامة للمعركة. من ناحية أخرى؛ فإن الخطة أقل تعقيداً وتشتمل

بين أمريكا واليابان. ويكفي أن ننظر أيضاً إلى الحشود والقوات التي تقبع على الحدود بين دول تطلق على نفسها وصف الدول الشقيقة أو الصديقة! وهل هناك شك في قيام الحرب بين هذه الدول "الصديقة" إذا ما اقتضت مصالحها القومية ذلك؟! كل ذلك دليل على أن العداء هو الأصل، وأن معاهدات السلام توقف الحرب مؤقتاً ولكنها لا تنهي العداء المتبادل الذي لا يزال يكتفه الإنجليز والفرنسيون والروس والأمريكيون واليابانيون والألمان بعضهم لبعض. وهذا المعنى لا يمكن وصف العلاقات الأمريكية العربية بأنها علاقات صداقة - كما يحلو لبعضهم وصفها بذلك - ولكنها علاقات عداء لا تهدف إلا إلى تحقيق المصالح الأمريكية؛ إما بالحرب المباشرة وإما الدعم المطلق لإسرائيل، أو من خلال علاقات سلمية تسمح لها بنهب الثروات والاستيلاء على مصادر الطاقة والتحكم في المنطقة بالرضا وبأقل الأعباء. ولا يستثنى من ذلك علاقة الولايات المتحدة بإسرائيل، فليس السلام من طبيعتها أيضاً، وإنما هو مرحلة تقتضيها مصلحة الطرفين الآن، وسرعان ما يعود العداء كأصل يحكم العلاقة بينهما إذا ما تعارضت المصالح، أو إذا ما تحرر الوعي الأمريكي من التأثير الصهيوني ليرى حقيقة هذا التعارض في المصالح، أو إذا ما نجحت القوى العربية والإسلامية في داخل الولايات المتحدة وخارجها في إباطة هذا التأثير اليهودي عن سمع الشعب الأمريكي وبصره وعقله حتى يتبين الحقيقة فيما يتعلق بمصالحه القومية.

(١١) في ظل طابع العداء الذي يغلف العلاقات الدولية، تعتمد كل دولة في علاقاتها الخارجية من أجل تحقيق مصالحها القومية وإخضاع الأطراف الأخرى لإرادتها على وسيلتين أو أسلوبين أو منهجين: السلم أو الحرب، ولكل أسلوب منهما أدواته: فالدبلوماسية هي أداة المنهج السلمي، والاستراتيجية هي أداة الحرب. ولا شك أن السلم مقدّم على الحرب؛ لما فيه من تفادي إزهاق الأرواح، ومن تحقيق المصلحة من دون أعباء وتكاليف المواجهة العسكرية. ولذلك فإن إخضاع الخصم بالأداة الدبلوماسية يجب أن يكون أولى وأسبق من محاولة إخضاعه بالأداة الاستراتيجية، إلا أن إخفاق الدبلوماسية في تطويع إرادة الخصم تدفع للتحوّل إلى منطق الحرب - وأداته الاستراتيجية - كبديل لا مفر منه لإكراه الخصم على الخضوع والتسليم (راجع سيناريو الحرب الأمريكية الأفغانية أو الحرب الأمريكية العراقية).

ولما كان الخصم هو الآخر يملك إرادة ومصالح قومية، كما أن لديه الرغبة نفسها في إخضاع الطرف الآخر وكسر شوكته، فضلاً عن امتلاكه هو الآخر لجيوش وقوات ومعدات عسكرية، ورغبة عارمة في تحقيق النصر على الطرف الآخر؛ فإن عملية الصدام العضوي بين الطرفين تحتاج إلى حسابات وتقديرات مسبقة لقوة الخصم وموارده ومواطن ضعفه واحتمالات صموده والدعم الذي يمكن

(٦) لمزيد من التفاصيل حول المنهج العلمي التجريبي وكيفية استخدامه في دراسة الظاهرة الدينية؛ راجع القسم التمهيدي بعنوان "محاولة لبناء منهجية وضعية لدراسة الظاهرة الدينية في نطاق التحليل السياسي" في: عبد العزيز صقر: دور الدين في الحياة السياسية في الدولة القومية - تحليل تجريبي (رسالة دكتوراه، كلية التجارة، جامعة الإسكندرية، قسم العلوم السياسية، ١٩٩٠م)، ص ١-١٥٠. وقد نشر الجزء التجريبي من هذه الرسالة والخاص بتطبيق هذه المنهجية على دراسة العلاقة بين الدين والدولة في الغرب بعنوان "الدين والدولة في الواقع الغربي - دراسة لموقع ودور الدين في الدولة القومية" (القاهرة: دار العلم للجميع، ١٩٩٥م)، راجع ص ٥٠-٣٠٧.

(٧) لمزيد من التفاصيل حول أدوات التحليل السياسي عموماً راجع: د. حامد ربيع، مرجع سابق، ص ٩، ١٢، ٢٩، ٥١، ٥٢، ٥٦، ١٠٩، ١١١، ١١٢، ١١٩، ١٢٢، ١٦٩، ١٧٠-١٧٢، ١٧٤، ١٨٤، ١٩١، ٢٦٠، ٢٦٢؛ د. طه بدوي: مرجع سابق، ص ٢٩٨-٣٠٧.

(٨) راجع حول هذه المعاني: Merriam-Webster Online Dictionary, op.cit; The American Heritage Dictionary of the English Language (N.Y.: Houghton Mifflin Co, 2000); Webster's New World Dictionary, op.cit.

(٩) هذه حقيقة قررها الإسلام بوضوح في قوله - تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾، وقوله صل الله عليه وسلم: «الحرب خدعة». والنجاح الساحق الذي حققته الجيوش الإسلامية في عصر الفتوحات لا يمكن تفسيره إلا في ضوء هذين العنصرين: عنصر إعداد القوة، وعنصر امتلاك استراتيجية ملائمة لمواجهة العالم الخارجي في هذه الفترة. ولعل تقاعس المسلمين عقب ذلك عن امتلاك مصادر القوة، وعدم امتلاك القيادات الإسلامية لأي تصور استراتيجي يحكم التعامل مع الآخر في المجال الدولي؛ هو أيضاً ما يفسر انهيار الدولة الإسلامية الكبرى، كما يفسر مرحلة "غناء السيل" التي يجيها المسلمون اليوم، وحيث سمح ضعفهم وهوانهم بتكالب الأمم عليهم، وإهدار دمايتهم، وهتك أعراضهم ونهب أموالهم!!

(١٠) على عكس الإدراك المتداول؛ فإن الأصل في العلاقات بين الدول هو العداء الذي يحكمه منطق الحرب، وما السلام إلا مرحلة تقتضيها مصلحة الأطراف المعنية. وليس أدل على ذلك مما نراه من تبدل أو تحوّل الأصدقاء إلى أعداء، والأعداء إلى أصدقاء على مقتضى المصلحة القومية، كيف كانت وكيف أصبحت العلاقة بين أمريكا وبريطانيا، أو بين بريطانيا وفرنسا، أو بين فرنسا وألمانيا، أو بين أمريكا وروسيا، أو

## النظرية والفكر

(١٥) حول معنى الخطة ومرادفات هذا المفهوم راجع: The American Heritage Dictionary, op.cit; Webster's Revised Unabridged Dictionary (N.Y.: MICRA, Inc., 1998); World Net (Princeton University, 2003); McLean, Iain and McMillan, Alistair: Concise Dictionary of Politics (N.Y.: Oxford University Press Inc., 2003).

أن يتلقاه من أحلافه وأنباط التفكير العسكري لدى قياداته وطبيعة أرض المعركة والأحوال الجوية، وغير ذلك من المعلومات التي تساعد على فهم طبيعة الخصم وتقدير قوته الحقيقية، والتي في ضوءها يقوم كل طرف بوضع الخطة الملائمة لإدارة العمليات العسكرية؛ بما يكفل تحقيق النصر وإيقاع الهزيمة بالطرف الآخر. هذه العمليات التمهيدية التي تسبق عملية المواجهة وتزامنها وما تتضمنه من أساليب وأدوات ومناورات وحيل؛ هي التي نقصدها من مصطلح الاستراتيجية؛ إنها فن إدارة الحرب من أجل تحقيق المصالح والغايات السياسية للدولة في ظل الطابع العدائي للعلاقات الدولية. راجع حول طبيعة العلاقات الدولية وموضع الاستراتيجية: د. طه بدوي، مرجع سابق، ص ٢٦، ١٩٨-٢٠٥.

(١٢) للإسلام تفسير مختلف لمفهوم "الخدعة في الحرب"، فهو وإن كان يقر الخدعة في الحرب؛ إلا أن ذلك لا يعني الخروج على قواعد وشروط المواجهة أو التعدي على أخلاقيات التعامل مع الطرف الآخر. فتقديم الدعوة على الحرب والعدل في المحاربين والوفاء بالعهود والإجارة والأمان وحسن معاملة الأسرى؛ هي بعض المبادئ التي تحكم أي صدام عضوي بين المسلمين وغيرهم، ولا موضع للحدث عن خدعة يترتب عليها إهدار لأي من هذه المبادئ التي تحكم أي عملية مواجهة مع غير المسلمين. حول استراتيجية الحرب في الإسلام ومعنى التعريض والخداع وأساليب الممارسة وأخلاقيات التعامل مع غير المسلمين في وقت الحرب. راجع: عبد العزيز صقر: نظرية الجهاد في الإسلام - حول تأصيل المفاهيم والمقومات الأساسية في التقاليد الأولى (رسالة ماجستير: القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ١٩٨٣م)، ص ٢٧٥-٤١٢؛ عبد العزيز صقر: العلاقات الدولية في الإسلام وقت الحرب - جزء ٦: دراسة للقواعد المنظمة لسير القتال (القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٦م).

(١٣) الاستراتيجية هي إحدى مراحل التحليل السياسي، وهي تلك المرحلة المعنية بتحديد كيفية إجراء البحث؛ بمعنى تحديد مسالك وأدوات التحليل في ضوء موضوع التحليل والغاية منه، إنها مجموعة المفاهيم والخطوات التي تحدد عناصر البحث وتوجهه، وترسم للباحث طريقاً واضحاً يجميه من التشتت والضباب طوال عملية البحث والتحليل، وعادة ما يُطلق عليها وصف "خطة البحث".

(١٤) راجع حول أصل كلمة التكتيك ومعناها:

Merriam Webster Online Dictionary, op.cit; Webster's New American Dictionary (Boston, N.Y.: Books, Inc., 1944); New International Dictionary, op.cit.; The American Heritage Dictionary, op.cit.

## معلومات إضافية

### الشرعية

تُعرّف الموسوعة الدولية الاجتماعية مفهوم الشرعية بأنه «الأسس التي تعتمد عليها الهيئة الحاكمة في ممارستها للسلطة؛ وتقوم على حق الحكومة في ممارسة السلطة وتقبّل المحكومين لهذا الحق».....

ولقد طرحت العديد من التعريفات لمفهوم الشرعية، ويمكن رصد ثلاثة اتجاهات للتعريف:

١ - اتجاه قانوني: يُعرّف الشرعية بأنها «سيادة القانون»، أي خضوع السلطات العامة للقانون والالتزام بحدوده، ويمتد القانون ليشمل القواعد القانونية المدونة (الدستور) وغير المدونة (العُرف) - ويقصد بالعرّف: مجموعة القواعد التي درجت عليها الجماعة فترة طويلة بلغت حد التواتر مع شعورهم بإلزام هذه القواعد.

٢ - اتجاه ديني (القانون الإلهي): ويُعرّف الشرعية بأنها «تنفيذ أحكام الدين (القانون الإلهي). وجوهره أن النظام الشرعي هو ذلك النظام الذي يعمل على التزام وتطبيق قواعد الدين (القانون الإلهي)، ويجب فهم الدين بمعنى الحقيقة المُنزلة. ويضم هذا الاتجاه معظم علماء الدين في العصور القديمة والحديثة.

٣ - اتجاه اجتماعي - سياسي: حيث تُعرّف الشرعية بأنها «تقبّل غالبية أفراد المجتمع للنظام السياسي وخضوعهم له طواعية؛ لاعتقادهم بأنه يسعى لتحقيق أهداف الجماعة، ويعبر عن قيمها وتوقعاتها، ويتفق مع تصورها عن السلطة وممارساتها».

مفهوم الشرعية د.د. سيف الدين عبد الفتاح إسماعيل، إسلام أون لاين.

يعتبر كتاب «الأمير» لماكيافلي مدخلاً إلى علم السياسة الحديث . فقد طرح ماكيافلي إشكالية السلطة بأسلوب تميز بالواقعية الصارمة وبتحديد فظ وصارخ للحاجات . لكن ذلك لا ينفي تأثر هذا المؤلف بالأرسطوطاليسية التي وضعت السياسة في قمة هرم العلوم التطبيقية لتدرج الاقتصاد والسلوك الشخصي ( علم النفس والتربية ) كتوابع لها أدنى منها أهمية..... هكذا فإن ماكيافلي يقدم لنا في هذا الكتاب تأسيساً لعلم السياسة الحديث ويضمّنه جرعة كبيرة من العلوم النفسية والتربوية، بل إنه يدعو لاستخدامها في دعم الأمير الطاغية .

مدخل إلى علم السياسة، المركز العربي للدراسات المستقبلية.

وفيما يلي قائمة بأهم المؤلفات القديمة في الفقه السياسي مرتبة حسب وفاة مؤلفيها:

[١] الخراج - أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢هـ).

- [٢] السير الكبير - محمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٩ هـ).
- [٣] الخراج - يَحْيَى بن آدم القرشي (ت ٢٠٤ هـ).
- [٤] الأموال أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ).
- [٥] الأحكام السلطانية - علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت ٤٥٠ هـ).
- [٦] قوانين الوزارة - الماوردي (ت ٤٥٠ هـ).
- [٧] أدب القاضي - الماوردي (ت ٤٥٠ هـ).
- [٨] غياث الأمم - أبو المعالي الجويني إمام الحرمين (ت ٤٧٨ هـ).
- [٩] نهاية الرتبة في طلب الحسبة - الشيرزي (ت ٥٨٩ هـ).
- [١٠] العقد الفريد للملك السعيد - محمد بن طلحة القرشي (ت ٦٥٢ هـ).
- [١١] السياسة الشرعية - ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ).
- [١٢] الحسبة في الإسلام - ابن تيمية (ت ٧٢٧ هـ).
- [١٣] معالم القربة في أحكام الحسبة - إبراهيم شمس الدين المعروف بـ «ابن الإخوة» (ت ٧٢٩ هـ).
- [١٤] الطرق الحكمية في السياسة الشرعية - ابن القيم (ت ٧٥١ هـ).
- [١٥] أحكام أهل الذمة - ابن القيم (ت ٧٥١ هـ).
- [١٦] تبصرة الحكام في أصول الأفضية ومناهج الأحكام - ابن فرحون المالكي (ت ٧٩٩ هـ).
- [١٧] تحرير الإسلام في تدبير أهل الإسلام - عز الدين بن جماعة (ت ٨١٩ هـ).
- [١٨] معين الحكام فيما تردد بين الخصمين من الأحكام (ت ٨٢٤ هـ).
- [١٨] لسان الحكام في معرفة الأحكام - ابن الشحنة (ت ٨٨٢ هـ).
- ولا شك أن هذه الكتب كما يتضح من عناوين بعضها ليست قاصرة على النظام السياسي ولكنها اتجهت إلى الكتب المتخصصة في موضوعات ذات صلة بالنظام السياسي مثل النظام المالي أو النظام القضائي.
- تطور الفقه السياسي الإسلامي (الحلقة الثانية)، د. بسطامي محمد خير. شبكة المشكاة الإسلامية.

### الاستراتيجية

وإليك تعريف الاستراتيجية لمفكرين سياسيين وعسكريين من المدرستين الغربية والشرقية وكذلك لمفكرين عرب .

#### المدرسة الغربية

١- كلاوزفيتز : يعرف الاستراتيجية بأنها فن استخدام الاشتباك من أجل هدف الحرب .

وقد عاب الكاتب العسكري البريطاني ليدل هارت على تعريف كلاوزفيتز للاستراتيجية ومن عيوبه أنه يدخل هذه الفكرة في حقل السياسة أو في أعلى مستوى لقيادة الحرب ، وهذه أمور تتعلق بمسؤولية الدولة لا بحدود عمل القادة العسكريين الذين تستخدمهم السلطة الحاكمة ليقوموا بإدارة العمليات وتنفيذها ، والعيب الآخر هو تحديده لمعنى الاستراتيجية فيما يتعلق باستخدام المعارك فقط ، أي تكريس كل الاعتبارات والإمكانيات في الحرب للبحث عن المعركة التي تحقق الحل الحاسم بقوة السلاح .

٢- ليتريه: هي فن إعداد خطة الحرب وتوجيه الجيش في المناطق الحاسمة والتعرف على النقاط التي يجب حشد أكبر عدد من القطاعات فيها لضمان النجاح في المعارك .

٣- مولتكه : الاستراتيجية هي مجموعة من الوسائل التي تستخدم لإدراك وتحقيق الوصول إلى غرض محدد .

٤- كراسة التدريب المشترك البريطانية الصادرة عام ١٩٠٢ م تعرف الاستراتيجية بأنها فن التخطيط لحملة ما وتوجيهها ، وهي الأسلوب الذي يسعى إليه القائد لجر عدوه إلى المعركة .

٥- فون درغولتز : هي التدابير الواسعة التي تستخدم في تحريك القوات إلى الجهة الحاسمة في أكثر الظروف مُلائمة ويمكن أن يسمى علم القيادة .

٦- فوش : هي فن حوار الإرادات التي تستخدم القوة لحل خلافاتها .

٧- ليدل هارت: هي فن توزيع واستخدام مختلف الوسائل العسكرية لتحقيق هدف السياسة؛ وسرعان ما أدرك ليدل هارت أن تعريفه هذا لم يحط بجميع المفاهيم المتزايدة باستمرار في عددها وحجمها ، لذلك يرى الجنرال بيرغالوا أن ليدل هارت أضف أخيراً إلى تعريفه السابق (أن التعبئة هي التطبيق العملي للاستراتيجية في مستوياتها الدنيا ، وأن الاستراتيجية هي التطبيق العملي للاستراتيجية العامة في مستوى أدنى) .

٨- ريمون أرون : هي قيادة وتوجيه مجمل العمليات العسكرية ، أما الدبلوماسية فهي توجيه العلاقات مع الدول الأخرى على أن تكون الاستراتيجية والدبلوماسية تابعتين للسياسة .

- ٩- أندريه بوفر : هي فن استخدام القوة للوصول إلى أهداف السياسة .
- ١٠- أيوريه : إن محتوى الاستراتيجية والتعبئة واحد ، وأن كلمة استراتيجي هي صفة لبعض المستويات في إدارة الحرب أو الحركات العسكرية وأن إدارة الحرب التي تقع مسؤوليتها على عاتق حكومة الوطن هي عملية استراتيجية .
- ١١- بييرغالوا : هي فن المزج بين الفكرة السياسية والوسائل المتاحة لإرغام الخصم -أو الخصوم- على القبول بالغاية أو الغايات المتوخاة .
- ١٢- أما المفهوم الأمريكي فقد عرف دليل ضباط أركان القوات المسلحة الأمريكية لعام ١٩٥٩ الاستراتيجية بأنها (فن وعلم استخدام القوات المسلحة للدولة لغرض تحقيق أهداف السياسة العامة عن طريق استخدام القوة أو التهديد باستخدامها .
- بعد أن استعرضنا جملة من التعاريف الغربية للاستراتيجية سنتناول الآن التعريف الاشتراكي لها :

### المدرسة الشرقية:

- ١- لينين : الاستراتيجية الصحيحة هي التي تتضمن تأخير العمليات إلى الوقت الذي يسمح فيه الانهيار المعنوي للخصم للضربة المميتة بأن تكون سهلة وممكنة .
- ٢- ماوتسي تونك : هي دراسة قوانين الوضع الكلي للحرب .
- ٣- كوزلوف : هي عملية خلق الوسائل العسكرية التي تمكن السياسة من الحصول على أهداف .
- ٤- كرازيلفكوف : إن الاستراتيجية العسكرية تعتمد مباشرة على السياسة وتخضع لها ، وخطط الحرب الاستراتيجية يتم تصميمها على أساس الأهداف التي تحددها السياسة .
- ٥- سو كولوفسكي : تمثل الاستراتيجية العسكرية مجموعة من المعارف النظرية التي تعالج قوانين الحرب كصراع مسلح دفاعاً عن مصالح طبقية محددة . وتدرس الاستراتيجية في ضوء التجارب العسكرية والأوضاع السياسية والعسكرية والطاقت الاقتصادية والمعنوية ، وأساليب تصريف الحروب ، ووجهات نظر العدو المحتمل وأوضاع الحرب المقبلة وطبيعتها وطرائق الإعداد لها وتسيير دفتها وفروع القوات المسلحة ، وأسس استخدامها الاستراتيجي بالإضافة إلى أسس الحرب المادية والتقنية وتظل في الوقت نفسه مجال النشاط العملي للقيادة السياسية والعسكرية العليا في القيادة العامة ومقرها ، والمتعلق بفتح البلاد للحرب وتصريف الصراعات المسلحة في ظل أوضاع تاريخية محددة .

### المدرسة العربية:

١ - المدرسة المصرية : تعرف الاستراتيجية على أنها أعلى مجال في فن الحرب وتدرس طبيعة وتخطيط وإعداد وإدارة الصراع المسلح، وهي أسلوب علمي نظري وعملي يبحث في مسائل إعداد القوات المسلحة للدولة واستخدامها في الحرب معتمداً على أسس السياسة العسكرية كما أنها تشمل نشاط القيادة العسكرية العليا بهدف تحقيق المهام الاستراتيجية للصراع المسلح لهزيمة العدو .

٢ - المدرسة العراقية : تعرفها على أنها فن إعداد وتوزيع القوات المسلحة واستخدامها أو التهديد باستخدامها ضمن إطار الاستراتيجية العامة لتحقيق أهداف السياسة .

٣ - ويمكن تعريفها بأنها فن وعلم في تهيئة وتوزيع واستخدام القوات المسلحة أو التهديد بها لغرض تحقيق أهداف السياسة العليا .

مفهوم الاستراتيجية، وما هي استراتيجية المعارضة العراقية ؟ عبد الإله العنزي، موسوعة الزقورة.

